الإمام الحسين عليه السلام

النور الجلي والمنار الهدي

عَرضٌ مُوجَز للمُعتقَد الصّافي

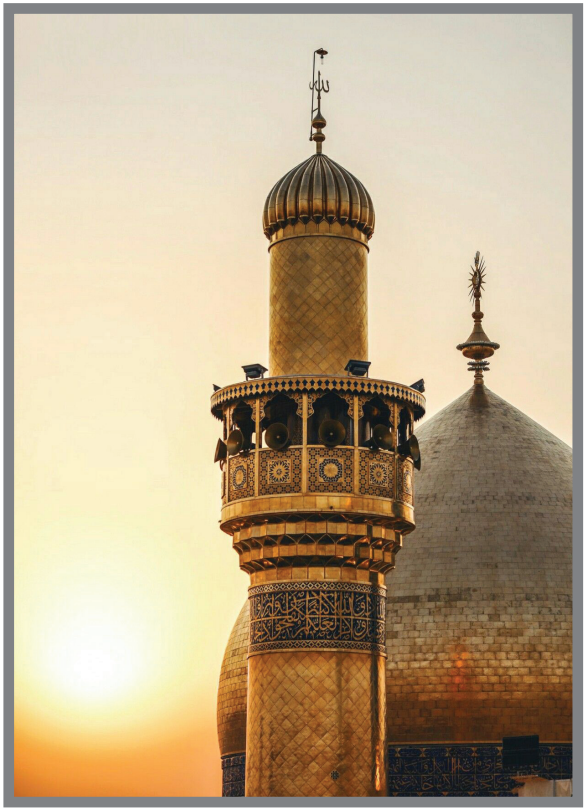

السيد محمود الموسوي

الإمام الحسين عليه السلام

النور الجلي والمنار الهدي

عَرضٌ مُوجَز للمُعتقَد الصّافي

السيد محمود الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد
الكائنات نبينا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم،

وآله بيته المطهّرين النجباء عليهم السلام.

تقديم

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين.

يطيب لي أن أقدّم عرضاً موجزاً لاعتقاد الشيعة الإمامية الإثني عشرية بالإمام الحسين بن علي عليه السلام، محاولاً تظهير المعالم الأساسية في الاعتقاد الصافي، بعيداً عن الطرح الكلامي الذي يشوبه النقص والخلل، لما فيه من ملابسة مع اعتقادات الآخرين الناقصة المنتقصة من أهل البيت عليهم السلام، والتي طالما حاول العلماء عرضها من هذه الجهة في مقام المحاورات الحقيقية أو المفترضة لجهة مقابلة تحاول أن تتفهّم الإمامة من منطلقاتها وأسسها التي تتبناها.

وإن كان للبحوث الكلامية وجه صحيح، فهو في مقام المحاورات، ومن أجل إقناع الآخرين خطوة خطوة من خلال الأسس التي يؤمنون بها، إلا أنه ومع الأسف الشديد باتت جل أطروحاتنا عن عقائدنا الحقّة إنما تُعرض من هذه الجهات الكلامية الفارغة من محتواها الأصيل، والمكدّرة

بشوائب أفهام نال منها النقص والتقصير والتشكيك في مجمل عقائدنا الصافية، فظن البعض ونهم بعض العلماء أن ما يُطرح في المباحث الكلامية الناقصة هو إيماننا الكامل، فتأثر المُفيد بما أراد أن يبدأ به المستفيد.

أقدّم هذه السطور المختصرة في العقيدة الصافية آملاً في أن تتكاثر البحوث الاعتقادية من منطلقها العقلي النير والروائي الصافي بعيداً عن ما شابها من البحوث الكلامية.

وسوف ألحق بهذا المختصر مختصراً آخر حول العقيدة في الإمام الحسين عليه السلام في الوعي السنّي ومن منطلقات وأسس المذهب السنّي وما يستتبع ذلك من ملازمات ضرورية تفضي إلى الإيمان الصحيح بالإمام الحسين عليه السلام كإمام مفترض الطاعة معصوم من الزلل.

ولقد اقتبست هذين الوجيزين من موسوعتنا حول الزيارة الحسينية لتعميم الفائدة، وأسأل الله تعالى أن يكون في هذه السطور النفع للمؤمنين والهداية للمسلمين للنور الحقيقي للإمام الحسين عليه السلام.

السيد محمود الموسوي

بني جمرة / البحرين

١٤٤٣هـ

الفصل الأول

الإمام الحسين عليه السلام في المعتقد الشيعي

(1)

الإمام الحسين في بيئته النبوية

الإمام الحسين عليه السلام هو الابن الثاني للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمّه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو ثمرة الزواج المبارك بين وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وُلد في اليوم الثالث مع شهر شعبان من السنة الرابعة من الهجرة[1]، وقد كانت ولادته موضع عناية خاصّة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم تكن تلك العناية منطلقة من عاطفة الأبوة كجدّ لسبطه وحسب، بل كان لتلك العناية عنوان ربّاني وهالة سماوية محيطة بسائر الأحداث التي حفّت ولادته الشريفة، ونشأته المباركة في كنف جده وأبيه وأمه.

---

١ – هذا هو المشهور عند الشيعة، وهناك من قال بأنه ولد يوم الخامس من شعبان، كما في إرشاد الفيد، ومصباح المتهجد.

وفي مستهل ولادته انهملت دموع النبي صلى الله عليه وآله وسلم على لحيته الشريفة، لما ظهر له من الغيب الإلهي في ما يجري في مسرح حياة هذا الوليد الجديد، في مستقبله الموعود المضمّخ بالدماء. وأخبر أسماء[1]، بأنني «**أبكي على ابني هذا، تقتله فئة باغية كافرة من بني أمية لعنهم الله، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم**». ثم قال – بعد أن التفت إلى الإمام الحسين وأخيه المولود قبله الإمام الحسن : «**اللهم إنّي أسألك فيهما ما سألك إبراهيم في ذريته، اللهم أحبّهما وأحبّ من يحبهما، والعن من يبغضهما ملء السماء والأرض**»[2].

فقد أعطى نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم الصورة الواضحة للاتجاه الذي سينهجه هذا الإمام، وما المصير الذي سيؤول إليه، وهو القتل في سبيل الله تعالى على يد شقي من الأشقياء، وقد اكتسب هذا المسار قيمة دينية، باعتبار أن الإمام الحسين عليه السلام هو الذي سيمثّل الدين في شخصه ورسالته، وأن أعداءه

---

١ – ذكرت المصادر أنها أسماء بنت عميس، إلا أن البعض ناقش في ذلك، واحتمل الخلط، لأن أسماء حينها كانت في الحبشة مع زوجها جعفر، ولعلها أختها سلمى أو أي من النساء القريبات من البيت النبوي.

٢ – منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي، ج١، ص٣٩٤.

سيمثلون زمرة الكفر والشقاق، وعليهم اللعن من الله، هذا كان مفاد بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا ينطق عن الهوى.

وتصرّح الروايات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام أن الله بعث جبرئيل في ملأ من الملائكة، ونزلوا من السماء إلى موضع ولادة الإمام الحسين عليه السلام ليهنئوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمولود المبارك[1].

ثم ترعرع الإمام في كنف جدّه المصطفى في ظل عناية خاصّة استشعرها جميع المسلمين، ما يقرب من ست سنين ونصف عاشها مع جده نبي الإسلام، كانت حافلة بالرعاية الأثيرة والاهتمام الظاهر، ولم يرحل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الدنيا إلا وقد بلّغ ما أنزل إليه من الله في الإمامة والولاية، وعرّف المسلمين بمقام الإمام الحسين عليه السلام عند الله تعالى، وعند رسوله الكريم، ورغّبهم في مودته، وحذّرهم من التقصير في حقه، ودعاهم لاجتناب معاداته.

فقد ورد عن حذيفة بن اليمان، قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم آخِذاً بِيَدِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام، وَهُوَ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ،**

١ - انظر كامل الزيارات، ص٦٦.

هَذَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِي فَاعْرِفُوهُ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفِي الْجَنَّةِ وَمُحِبِّيهِ فِي الْجَنَّةِ وَمُحِبِّي مُحِبِّيهِ فِي الْجَنَّةِ[1].

وعن يلعى بن مرّة، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْنٍ، أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْناً، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ**»[2].

ولقد عاش الإمام الحسين عليه السلام بين المسلمين بسيرة يفوح منها عطر النبوّة خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً، وقد ألقيت الحُجّة عليهم جميعاً، بأنه الإمام ابن الإمام، والولي بن الولي، والقائد بن القائد، فكانت مسيرته حافلة بالعطاء والجهاد ومكارم الأخلاق، مثال حيّ للدين في قِيَمه وتشريعاته، كما كان جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام بأخصر بيان: كان خلقه القرآن.

ثم عاش مع أبيه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام تسعاً وعشرين سنة، معايشاً ومتفاعلاً مع جميع المحن والتحدّيات التي واجهة أبيه، وكان ساعداً له، وقائداً من قادة جيشه، فقد

---

١ - بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢٦٣، عن أمالي الصدوق.
٢ - كامل الزيارات، ص٥٢.

سجّل التاريخ مشاركة الإمام الحسين عليه السلام في معركة الجمل، وصفين، فنصر الحق أينما وُجد، لأن الحق مع علي عليه السلام وعلي مع الحق، يدور معه حيثما دار، كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعد تلك المسيرة الحافلة من الجهاد والعطاء، والتصبر والاستقامة، عاش ما يربو على العشر سنين في إمامة أخيه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، سنداً ومعاوناً له في مسيرته الجهادية والتربوية، وكانا معاً مثالان حيّان لقيم الدين، وحاميان لحرمته، ومبيّنان حدود شريعته، وقد التزم الإمام الحسين عليه السلام بإمامة أخيه الحسن عليه السلام، فكان يخطو خطاه ويقتفي أثره، وينهج طريقه، لا يتخلّف عنه قيد أنملة، لعلمه بإمامته الإلهية.

وقد عايش نزول القرآن الكريم، وكان الإمام الحسين عليه السلام محفوفاً بآيات التنزيل وآيات التأويل في الكثير من آيات القرآن الكريم، ومنها:

عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيٍّ عليه السلام قَالَ: «**دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**،

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: يَا عَلِيُّ، هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيكَ وَفِي سِبْطَيَّ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِكَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَمِ الْأَئِمَّةُ بَعْدَكَ؟ قَالَ: أَنْتَ يَا عَلِيُّ، ثُمَّ ابْنَاكَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَبَعْدَ الْحُسَيْنِ عَلِيٌّ ابْنُهُ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ، وَبَعْدَ مُحَمَّدٍ جَعْفَرٌ ابْنُهُ، وَبَعْدَ جَعْفَرٍ مُوسَى ابْنُهُ، وَبَعْدَ مُوسَى عَلِيٌّ ابْنُهُ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ مُحَمَّدٌ ابْنُهُ، وَبَعْدَ مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ ابْنُهُ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ الْحَسَنُ ابْنُهُ، وَالْحُجَّةُ مِنْ وُلْدِ الْحَسَنِ. هَكَذَا وَجَدْتُ أَسَامِيَهُمْ مَكْتُوبَةً عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ، فَسَأَلْتُ اللهَ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هُمُ الْأَئِمَّةُ بَعْدَكَ، مُطَهَّرُونَ مَعْصُومُونَ، وَأَعْدَاؤُهُمْ مَلْعُونُونَ»[1].

١ - كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ١٥٦.

(2)

الإمام الحسين في إمامته الإلهية

لقد عاش الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادة أخيه الإمام الحسن عليه السلام عشر سنين وعشرة أشهر، كانت هي مدّة إمامته الإلهية، وفترة تسلّمه القيادة الكاملة للأمة الإسلامية، فلم يمض الإمام الحسن عليه السلام إلا وقد نصّ على إمامة الحسين عليه السلام من بعده[1]، مع علمهم بذلك مسبقاً من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن تأكيداً ووصيّة، لتظهر الحجّة البالغة في الآفاق.

فعَنْ عَبْدِ الْعَلِيِّ بْنِ أَعْيَنَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهَّ عليه السلام يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ عَلِيّاً عليه السلام بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وآله وسلم، وَمَا يُصِيبُهُ لَهُ، فَأَقَرَّ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ لَهُ بِذَلِكَ، ثُمَّ وَصِيَّتُهُ لِلْحَسَنِ، وَتَسْلِيمُ الْحُسَيْنِ لِلْحَسَنِ ذَلِكَ، حَتَّى أَفْضَى**

---

١ - انظر الكافي، ج١، ص٣٠٢.

الْأَمْرُ إِلَى الْحُسَيْنِ، لَا يُنَازِعُهُ فِيهِ أَحَدٌ، لَهُ مِنَ السَّابِقَةِ مِثْلُ مَا لَهُ، وَاسْتَحَقَّهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، لِقَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ﴾، فَلَا تَكُونُ بَعْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ إِلَّا فِي الْأَعْقَابِ وَأَعْقَابِ الْأَعْقَاب»[1].

لقد طوى سيرته في إمامته بأعلى درجات الحكمة والشجاعة، وعاش متّصفاً بالزهد في الدنيا، وسار في الناس بأرفع مكارم الأخلاق، وأجود مآثرها، وغرس أوتاد المعارف والمعلوم في العقول، وأسفر عن بواطن الآيات، وحدّث العامّة والخاصّة بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وصرّح لهم بوجوب طاعته المفترضة من الله تعالى.

وهو القائل بكل جلاء ووضوح أمام معاوية وأصحابه: «نَحْنُ حِزْبُ اللهِ الْغَالِبُونَ، وَعِتْرَةُ رَسُولِهِ الْأَقْرَبُونَ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ الطَّاهِرُونَ، وَأَحَدُ الثَّقَلَيْنِ اللَّذَيْنِ خَلَّفَهُمَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِي أُمَّتِهِ، وَالتَّالِي كِتَابَ اللهِ، فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ، لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ، فَالْمُعَوَّلُ عَلَيْنَا فِي تَفْسِيرِهِ لَا نَتَظَنَّى تَأْوِيلَهُ، بَلْ نَتَيَقَّنُ حَقَائِقَهُ، فَأَطِيعُونَا، فَإِنَّ

١ - علل الشرائع، ج١، ص٢٠٧.

طَاعَتَنَا مَفْرُوضَةٌ، إِذْ كَانَتْ بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ مَقْرُونَةً، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَ: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ**﴾، ﴿**وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ، لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾.

وَأُحَذِّرُكُمُ الْإِصْغَاءَ لِهُتَافِ الشَّيْطَانِ بِكُمْ، فَإِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ، فَتَكُونُوا كَأَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ: ﴿لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ﴾، فَتُلْقَوْنَ إِلَى الرِّمَاحِ وَزَراً، وَإِلَى السُّيُوفِ جَزَراً، وَلِلْعُمُدِ حَطَماً، وَلِلسِّهَامِ غَرَضاً، ثُمَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً»[1].

فالإمامة الإلهية للإمام الحسين عليه السلام مفترضة على كل مسلم ومسلمة، وهذا الوجوب وجوب إلهي، وانتماء مقدّس، فلا يُقبل عمل عامل من المسلمين إلا بتولّيه والاعتقاد بإمامته، فلا تقع عبادة الله بشكلها الصحيح، كالصلاة والحج والإنفاق

١ - الأمالي، للفيد، ص٣٥٠.

وسائر المعاملات، إلا بالولاية، وهذه الحقيقة فرقان بين الحق والباطل.

فقد جاء عن جابر، قال: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: **«إِنَّمَا يَعْرِفُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَيَعْبُدُهُ، مَنْ عَرَفَ اللهَّ وَعَرَفَ إِمَامَهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَمَنْ لَا يَعْرِفِ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا يَعْرِفِ الْإِمَامَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّمَا يَعْرِفُ وَيَعْبُدُ غَيْرَ اللهِّ، هَكَذَا وَاللهَّ ضَلَالًا»**[1].

فهو الإمام المعصوم عن الزلل في كل شؤون الحياة، وهو أعلم أهل الأرض، فلزمه من لزمه، وكانوا فائزين، وتخلّف عنه من تخلّف، وكانوا خاسرين، ولأن الإمام الحسين عليه السلام حمل راية الهدى، ورفع شعلة التغيير في وجه الطغاة، فكانت فئة أخرى هي أخسر الأخسرين، وهي التي ناصبته العداء، ورفعت لواء الحرب ضدّه، فكانوا أذلّ خلق الله في العالمين، والأخسر بين الأخسرين، ملعونون إلى قيام يوم الدين.

---

١ - الكافي، ج١، ص ١٨١.

(3)

الإمام الحسين في حقيقته النورية

من أُسس الاعتقاد الحق في الإمام الحسين عليه السلام أن يعترف المؤمن بحقيقة الإمام الحسين عليه السلام عند الله تعالى، فهو ليس مجرد رجل صالح من المؤمنين تولّى الإمامة الظاهرية كما يتولّها أمراء الدنيا وملوكها، ولم يكن مجرّد ثائر مقدام قام في وجه الطغيان الأموي، إنما كان إماماً، وإمامته من الله تعالى، وهي تعني ولايته العامة على الدين والدنيا، بل تعني تصرّفه في التكوين والتشريع، وهو مقام يصعب بلوغ معرفة كامل كنهه، ولكن الاقتراب من معرفته واجب، والتعبّد بالاعتراف بحقيقته فريضة، وهذا يضطرنا للحديث عن حقيقته النورية، أي خلقه في عالم النور مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يخلق الله تعالى سائر خلقه بآلاف السنين، لتتكشّف أمامنا بوضوح معنى الولاية الحقيقة التي للحسين عليه السلام.

إن الوجود البشري للإمام الحسين عليه السلام كان برعاية إلهية ونبوية وإمامية، وقد ظهر للناس أصل المنبت الطيّب، ولمع جوهره الكريم، وانتشر نوره في العالمين، إلا أن الله تعالى قد خلق الأرواح من قبل هذه الخلقة، فكان أول الخلق هم سادة الخلق ومحور الوجود، وقد كرّمهم خالقهم وبارئهم بالولاية على التكوين والتشريع، حيث اختار الله تعالى نبيه الكريم محمد بن عبد الله، وابن عمّه الإمام علي بن أبي طالب، وابنته فاطمة الزهراء، وذريتها الأئمة المعصومين (عليهم الصلاة والسلام) لهذا المقام المتفرّد، وهذه الرّتبة التي لا تعلوها رتبة، لعلمه بما تكون عليه سيرتهم في الدنيا.

وفي تلك العوالم النوريّة قد أخذ الله تعالى على جميع خلقه، وحتى أنبياءه وملائكته، العهد على ولايتهم، فكان كل تشريف اكتسبوه فمن معدن شرفهم، وكل فضيلة تحلّوا بها فمن طيب أخلاقهم، وكل علم انتهلوه فمن منابع نور علومهم. والإمام الحسين عليه السلام واحد من هذه الأنوار التي اتصلت بالوجود كله.

عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «**لَمَّا أُسْرِيَ بِي**

إِلَى السَّمَاءِ، أَوْحَى إِلَيَّ رَبِّي جَلَّ جَلَالُهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي اطَّلَعْتُ عَلَى الْأَرْضِ اطِّلَاعَةً فَاخْتَرْتُكَ مِنْهَا، فَجَعَلْتُكَ نَبِيّاً، وَشَقَقْتُ لَكَ مِنِ اسْمِي اسْماً، فَأَنَا الْمَحْمُودُ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ اطَّلَعْتُ الثَّانِيَةَ فَاخْتَرْتُ مِنْهَا عَلِيّاً وَجَعَلْتُهُ وَصِيَّكَ وَخَلِيفَتَكَ وَزَوْجَ ابْنَتِكَ وَأَبَا ذُرِّيَّتِكَ، وَشَقَقْتُ لَهُ اسْماً مِنْ أَسْمَائِي، فَأَنَا الْعَلِيُّ الْأَعْلَى وَهُوَ عَلِيٌّ، وَخَلَقْتُ فَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ مِنْ نُورِكُمَا، ثُمَّ عَرَضْتُ وَلَايَتَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فَمَنْ قَبِلَهَا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْمُقَرَّبِينَ.

يَا مُحَمَّدُ، لَوْ أَنَّ عَبْداً عَبَدَنِي حَتَّى يَنْقَطِعَ وَيَصِيرَ كَالشَّنِّ الْبَالِي، ثُمَّ أَتَانِي جَاحِداً لِوَلَايَتِهِمْ، فَمَا أَسْكَنْتُهُ جَنَّتِي، وَلَا أَظْلَلْتُهُ تَحْتَ عَرْشِي.

يَا مُحَمَّدُ، تُحِبُّ أَنْ تَرَاهُمْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ارْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا أَنَا بِأَنْوَارِ عَلِيٍّ، وَفَاطِمَةَ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُوسَى، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَالْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، وَ مح‌مد بْنِ الْحَسَنِ الْقَائِمِ فِي وَسْطِهِمْ، كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّي...» الحديث[1].

---

١ - كمال الدين وتمام النعمة، ج١، ص٢٥٢.

إن ابتداء خلقهم نوراً مما تضافرت به الروايات، وتنوّعت فيه المعاني والدلالات[1]، بما يحتاج في فهمه إلى إنعام نظر، ودقّة في التفكّر، إلا أن المعنى الإجمالي في تلك الروايات المتكاثرة، هو ثبوت خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الطاهرين، خلقاً نورياً قبل أن يخلق الأرض ومن عليها، وجَعْلهم محور الطاعة والتكوين قبل أن يدحي الأرض ويهيئها لخلقه.

فكانت الولاية العامة للإمام الحسين عليه السلام في الوجود كلّه، فهو معدن العلم لمن أراد العلم من الله، وهو باب رحمة الله لمن قصد الرحمة الإلهية، فهو عليه السلام وسيلة الفيض الإلهي على العباد.

عَنْ مَرْوَانَ بْنِ صَبَّاحٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام: **إِنَّ اللهَّ خَلَقَنَا فَأَحْسَنَ خَلْقَنَا، وَصَوَّرَنَا فَأَحْسَنَ صُوَرَنَا، وَجَعَلَنَا عَيْنَهُ فِي عِبَادِهِ، وَلِسَانَهُ النَّاطِقَ فِي خَلْقِهِ، وَيَدَهُ الْمَبْسُوطَةَ عَلَى عِبَادِهِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَوَجْهَهُ الَّذِي يُؤْتَى مِنْهُ، وَبَابَهُ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَخُزَّانَهُ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، بِنَا أَثْمَرَتِ الْأَشْجَارُ وَأَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَجَرَتِ الْأَنْهَارُ، وَبِنَا يَنْزِلُ غَيْثُ السَّمَاءِ وَيَنْبُتُ عُشْبُ الْأَرْضِ،**

١ - انظر الكافي، ج١، ص ٤٤٠، و٤٤١، على سبيل المثال.

وَبِعِبَادَتِنَا عُبِدَ اللهُ، وَلَوْ لَا نَحْنُ مَا عُبِدَ اللهُ[1].

وتعبيراً عن المقام الرفيع الذي احتلّه الإمام الحسين عليه السلام، يخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صفاته المكتوبة فوق العرش، وهي دلالة على أنها ثابتة لأنه عبّر عن أنها مكتوبة، والمكتوب ثابت محفور، وأنها مرتبطة بهيمنة الله تعالى، وهيمنته جل شأنه لا حدود لها، لأنها مكتوبة فوق العرش، والعرش رمز الهيمنة الإلهية.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيّاً، إِنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ فِي السَّمَاءِ أَكْبَرُ مِنْهُ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عَنْ يَمِينِ عَرْشِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مِصْبَاحُ هُدًى وَسَفِينَةُ نَجَاةٍ، وَإِمَامٌ غَيْرُ وَهْنٍ، وَعِزٌّ وَفَخْرٌ، وَعِلْمٌ وَذُخْرٌ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ رَكَّبَ فِي صُلْبِهِ نُطْفَةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً زَكِيَّةً، وَلَقَدْ لُقِّنَ دَعَوَاتٍ مَا يَدْعُو بِهِنَّ مَخْلُوقٌ إِلَّا حَشَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَعَهُ، وَكَانَ شَفِيعَهُ فِي آخِرَتِهِ، وَفَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كَرْبَهُ، وَقَضَى بِهَا دَيْنَهُ، وَيَسَّرَ أَمْرَهُ، وَأَوْضَحَ سَبِيلَهُ، وَقَوَّاهُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَلَمْ يَهْتِكْ سِتْرَهُ**»[2].

إن مقام الإمامة والولاية الإلهية، اكتسب علوّه من الله

---

١ - الكافي، ج١، ص ١٤٤.

٢ - عيون أخبار الرضا، ج١، ص٦٠.

تعالى، ونال شرفه منه عز شأنه، فإن الله هو الذي خلق الإمام الحسين عليه السلام، كما خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر أهل البيت عليهم السلام، فهم إليه عابدون منزِّهون، فلا تعني عظمة ولايتهم وسعتها في التكوين والتشريع أنها تضاهي قدرة الله سبحانه، فإن الاعتقاد بذاتية الفضل أو الاعتقاد بألوهيتهم، يُعدّ غلوّ في الدين، وانحرافاً عن عقيدة التوحيد، وتنكّباً عن سيرة سيد المرسلين، وقد نهى أهلُ البيت عليهم السلام أتباعَهم عن الغلو، وحذّروهم منه أيّما تحذير، ووضعوا لهم ضابطة ينبغي للمؤمن بهم أن يضعها نصب عينيه، ويقوّم بها دينه، ويُحكم بها معتقداته، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِينَا، قُولُوا إِنَّا مَرْبُوبُونَ، وَاعْتَقِدُوا فِي فَضْلِنَا مَا شِئْتُم**»[1].

وقد تحدّث العلامة المجلسي ببيان واضح في ميزان الغلو والموقف من مقامات أهل البيت عليهم السلام العالية، حيث قال:

(اعلم أن الغلو في النبي والأئمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بألوهيتهم أو بكونهم شركاء الله تعالى في المعبودية، أو في الخلق والرزق، أو أن الله تعالى حلّ فيهم، أو اتحد بهم، أو أنهم

١ - عيون الحكم والمواعظ، ص ١٠١.

يعلمون الغيب بغير وحي أو إلهام من الله تعالى، أو بالقول في الأئمة عليهم السلام إنهم كانوا أنبياء، أو القول بتناسخ أرواح بعضهم إلى بعض، أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع الطاعات ولا تكليف معها بترك المعاصي.

والقول بكل منها إلحاد وكفر وخروج عن الدين، كما دلّت عليه الأدلّة العقلية والآيات والأخبار السالفة وغيرها، وقد عرفت أن الأئمة عليهم السلام تبرءوا منهم، وحكموا بكفرهم، وأمروا بقتلهم، وإن قرع سمعك شيء من الأخبار الموهمة لشيء من ذلك، فهي إما مؤوّلة أو هي من مفتريات الغلاة.

ولكن أفرط بعض المتكلمين والمحدثين في الغلو[1]، لقصورهم عن معرفة الأئمة عليهم السلام وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شئونهم، فقدحوا في كثير من الرواة الثقات، لنقلهم بعض غرائب المعجزات، حتى قال بعضهم: من الغلو نفي السهو عنهم، أو القول بأنهم يعلمون ما كان وما يكون، وغير ذلك.

---

١ - يقصد العلامة أفرطوا في الوصف بالغلو لكل حديث غريب في أحوال أهل البيت عليهم السلام وعجائب شؤونهم.

إلى أن قال:

(فلا بدّ للمؤمن المتديّن أن لا يُبادر بردّ ما ورد عنهم من فضائلهم ومعجزاتهم ومعالي أمورهم، إلا إذا ثبت خلافه بضرورة الدين أو بقواطع البراهين أو بالآيات المحكمة أو بالأخبار المتواترة)[1].

فإن تكلّمنا عن التحذير عن الغلو، فإنما نتكلّم عن تنزيه الله تعالى عن خلقه، وفي ذات الوقت الاعتقاد بسمو ما أعطاه للأمة من فضل ومقام لا يمكن تصوّره أو وصفه، عطاء غير مجذوذ، متناسب مع كرمه وجوده للعترة الهادية التي ستكون محور الدين ومثاله ودرعه.

فإن المؤمن لا يعجب من أن حبّ الإمام الحسين عليه السلام يُدخل الجنة من غير حساب، وأن البكاء على مصابه يطفئ ليهب النيران، وأن زيارته وسام يستحق به الزائر أن يتبوأ أعلى عليين في الجنّة، لأنه يؤمن أن الجنة إنما هي مخلوقة من نور الحسين عليه السلام، وأنه سلام الله عليه أفضل منها، وقد ذكر ذلك كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمّه العباس، فبعد أن ذكر له خلق

١ - بحار الأنوار، ج٢٥، ص ٣٤٧.

أنوارهم في مبتدأ الخلق، فخلق نور النبي ﷺ ثم نور علي ونور فاطمة ونور الحسن، قال عن خلق نور الحسين عليه السلام:

«ثُمَ فَتَقَ نُورَ وَلَدِيَ الْحُسَيْنِ فَخَلَقَ مِنْهُ الْجَنَّةَ وَالْحُورَ الْعِينَ فَالْجَنَّةُ وَالْحُورُ الْعِينُ مِنْ نُورِ وَلَدِيَ الْحُسَيْنِ وَنُورُ وَلَدِيَ الْحُسَيْنِ مِنْ نُورِ اللهَّ وَوَلَدِيَ الْحُسَيْنُ أَفْضَلُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْحُورِ الْعِين»[1].

ولندع الإمام الصادق عليه السلام يبيّن لنا جزءاً من ذلك الفضل وملمحاً من تلك العظمة، وشيئاً من ضرورة المعرفة وفريضة الإيمان والانتماء لهم سلام الله عليهم.

جاء في كتاب الكافي، **عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ غَالِبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهَّ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَهُ يَذْكُرُ فِيهَا حَالَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَصِفَاتِهِمْ،: «إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ أَوْضَحَ بِأَئِمَّةِ الْهُدَى مِنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا عَنْ دِينِهِ، وَأَبْلَجَ بِهِمْ عَنْ سَبِيلِ مِنْهَاجِهِ، وَفَتَحَ بِهِمْ عَنْ بَاطِنِ يَنَابِيعِ عِلْمِهِ، فَمَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَاجِبَ حَقِّ إِمَامِهِ وَجَدَ طَعْمَ حَلَاوَةِ إِيمَانِهِ، وَعَلِمَ فَضْلَ طُلَاوَةِ إِسْلَامِهِ، لِأَنَّ اللهَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَصَبَ الْإِمَامَ عَلَماً لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ مَوَادِّهِ وَعَالَمِهِ، وَأَلْبَسَهُ اللهُّ تَاجَ الْوَقَارِ وَغَشَّاهُ مِنْ نُورِ**

١ – تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، ص١٤٤.

الْجَبَّارِ، يُمَدُّ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهُ مَوَادُّهُ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِجِهَةِ أَسْبَابِهِ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ إِلَّا بِمَعْرِفَتِهِ، فَهُوَ عَالِمٌ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ مُلْتَبِسَاتِ الدُّجَى، وَمُعَمَّيَاتِ السُّنَنِ وَ مُشَبِّهَاتِ الْفِتَنِ، فَلَمْ يَزَلِ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى يَخْتَارُهُمْ لِخَلْقِهِ مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنْ عَقِبِ كُلِّ إِمَامٍ يَصْطَفِيهِمْ لِذَلِكَ وَ يَجْتَبِيهِمْ، وَيَرْضَى بِهِمْ لِخَلْقِهِ، وَيَرْتَضِيهِمْ، كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ إِمَامٌ نَصَبَ لِخَلْقِهِ مِنْ عَقِبِهِ إِمَاماً عَلَماً بَيِّناً، وَهَادِياً نَيِّراً، وَإِمَاماً قَيِّماً، وَحُجَّةً عَالِماً، أَئِمَّةً مِنَ اللهِ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، حُجَجُ اللهِ وَدُعَاتُهُ وَرُعَاتُهُ عَلَى خَلْقِهِ، يَدِينُ بِهَدْيِهِمُ الْعِبَادُ، وَتَسْتَهِلُّ بِنُورِهِمُ الْبِلَادُ، وَيَنْمُو بِبَرَكَتِهِمُ التِّلَادُ، جَعَلَهُمُ اللهُ حَيَاةً لِلْأَنَامِ وَمَصَابِيحَ لِلظَّلَامِ وَمَفَاتِيحَ لِلْكَلَامِ وَدَعَائِمَ لِلْإِسْلَامِ، جَرَتْ بِذَلِكَ فِيهِمْ مَقَادِيرُ اللهِ عَلَى مَحْتُومِهَا.

فَالْإِمَامُ هُوَ الْمُنْتَجَبُ الْمُرْتَضَى وَالْهَادِي الْمُنْتَجَى وَالْقَائِمُ الْمُرْتَجَى، اصْطَفَاهُ اللهُ بِذَلِكَ وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ فِي الذَّرِّ حِينَ ذَرَأَهُ وَفِي الْبَرِيَّةِ حِينَ بَرَأَهُ ظِلًّا قَبْلَ خَلْقِ نَسَمَةٍ عَنْ يَمِينِ عَرْشِهِ، مَحْبُوّاً بِالْحِكْمَةِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، اخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ وَانْتَجَبَهُ لِطُهْرِهِ بَقِيَّةً مِنْ آدَمَ عليه السلام وَخِيَرَةً مِنْ ذُرِّيَّةِ نُوحٍ وَمُصْطَفًى مِنْ

آلِ إِبْرَاهِيمَ وَسُلَالَةً مِنْ إِسْمَاعِيلَ وَصَفْوَةً مِنْ عِتْرَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم، لَمْ يَزَلْ مَرْعِيّاً بِعَيْنِ اللهَّ يَحْفَظُهُ وَيَكْلَؤُهُ بِسِتْرِهِ، مَطْرُوداً عَنْهُ حَبَائِلُ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، مَدْفُوعاً عَنْهُ وُقُوبُ الْغَوَاسِقِ وَنُفُوثُ كُلِّ فَاسِقٍ، مَصْرُوفاً عَنْهُ قَوَارِفُ السُّوءِ، مُبْرَأً مِنَ الْعَاهَاتِ، مَحْجُوباً عَنِ الْآفَاتِ، مَعْصُوماً مِنَ الزَّلَّاتِ، مَصُوناً عَنِ الْفَوَاحِشِ كُلِّهَا، مَعْرُوفاً بِالْحِلْمِ وَالْبِرِّ فِي يَفَاعِهِ، مَنْسُوباً إِلَى الْعَفَافِ وَالْعِلْمِ وَ الْفَضْلِ عِنْدَ انْتِهَائِهِ مُسْنَداً إِلَيْهِ أَمْرُ وَالِدِهِ، صَامِتاً عَنِ الْمَنْطِقِ فِي حَيَاتِهِ، فَإِذَا انْقَضَتْ مُدَّةُ وَالِدِهِ إِلَى أَنِ انْتَهَتْ بِهِ مَقَادِيرُ اللهَّ إِلَى مَشِيئَتِهِ، وَجَاءَتِ الْإِرَادَةُ مِنَ اللهَّ فِيهِ إِلَى مَحَبَّتِهِ، وَبَلَغَ مُنْتَهَى مُدَّةِ وَالِدِهِ عليه السلام، فَمَضَى وَصَارَ أَمْرُ اللهَّ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَلَّدَهُ دِينَهُ، وَجَعَلَهُ الْحُجَّةَ عَلَى عِبَادِهِ وَقَيِّمَهُ فِي بِلَادِهِ، وَأَيَّدَهُ بِرُوحِهِ، وَآتَاهُ عِلْمَهُ، وَأَنْبَأَهُ فَصْلَ بَيَانِهِ، وَاسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ، وَأَنْبَأَهُ فَضْلَ بَيَانِ عِلْمِهِ، وَنَصَبَهُ عَلَماً لِخَلْقِهِ، وَجَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ عَالَمِهِ وَضِيَاءً لِأَهْلِ دِينِهِ وَالْقَيِّمَ عَلَى عِبَادِهِ، رَضِيَ اللهَّ بِهِ إِمَاماً لَهُمُ، اسْتَوْدَعَهُ سِرَّهُ وَاسْتَحْفَظَهُ عِلْمَهُ وَاسْتَخْبَأَهُ حِكْمَتَهُ، وَاسْتَرْعَاهُ لِدِينِهِ، وَانْتَدَبَهُ لِعَظِيمِ أَمْرِهِ، وَأَحْيَا بِهِ مَنَاهِجَ سَبِيلِهِ وَفَرَائِضَهُ وَحُدُودَهُ، فَقَامَ بِالْعَدْلِ عِنْدَ تَحَيُّرِ أَهْلِ الْجَهْلِ، وَتَحْيِيرِ أَهْلِ الْجَدَلِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالشِّفَاءِ النَّافِعِ بِالْحَقِّ الْأَبْلَجِ،

وَالْبَيَانِ اللَّائِحِ مِنْ كُلِّ مَخْرَجٍ عَلَى طَرِيقِ الْمَنْهَجِ الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ الصَّادِقُونَ مِنْ آبَائِهِ عليهم السلام، فَلَيْسَ يَجْهَلُ حَقَّ هَذَا الْعَالِمِ إِلَّا شَقِيٌّ، وَلَا يَجْحَدُهُ إِلَّا غَوِيٌّ، وَلَا يَصُدُّ عَنْهُ إِلَّا جَرِيٌّ عَلَى اللهَ جَلَّ وَعَلَا»[1].

١ - الكافي، ج١، ص٢٠٣.

(4)

الإمام الحسين في زيارته الربانية

بعد أن رأى الإمام الحسين عليه السلام أن الدين قد هتكت حرمته، وبدأ يزيد بن معاوية بمساعي التسلّط على رقاب المسلمين، وهو أبعد الناس عن الدين، وأوضعهم منزلة، وأحقرهم في الصفات، وأسوئهم في التدبير، نهض الإمام في وجهه متحدّياً، ورافضاً لبيعته، وقد عبّر عن حقيقة جانبي التحدّي بقوله عليه السلام:

«إِنَّا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ، وَبِنَا فَتَحَ اللهُ، وَبِنَا خَتَمَ اللهُ، وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ، شَارِبُ الْخَمْرِ، قَاتِلُ النَّفْسِ الْمُحَرَّمَةِ، مُعْلِنٌ بِالْفِسْقِ، وَمِثْلِي لَا يُبَايِعُ بِمِثْلِهِ»[1].

فما كان من يزيد الفاسق إلا وقد جيّش الجيوش لقتال الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه القلّة في صحراء كربلاء، فلم

---

١ - اللهوف في قتلى الطفوف، ص٢٣.

يثن الإمام كثرة الذمم التي اشتراها يزيد لقتاله، وقد أبلى في الدفاع عن حرمة الدين، هو وأصحابه بلاء حسناً، شهد له التاريخ، مسطرين أروع البطولات، وأرفع درجات التسليم لله تعالى، ففدى الدين بدمه الطاهر، حيث سُفك دمه على أرض كربلاء، وحُزّ رأسه الشريف، وداست الخيل على صدره الطاهر، وقد لطّخ القتلة بذلك صفحات التاريخ بأبشع صور الحقد الأموي على أهل بيت النبوة والرسالة.

ومنذ أن صبغ الإمام الحسين عليه السلام بدمه لوحة الفداء لدين الإسلام، مسلّماً لله تعالى أمره، مقدماً كل ما يملك في سبيل الله تعالى ممثّلاً أصدق عنوان أنه جاهد في الله حقّ جهاده، وقد قدّم بين يديه أبناءه وأصحابه، وسبي نسائه وأطفاله، فبكت على مصابه العظيم وفاجعته الكبرى كل الدنيا، وضجّت لها ملائكة الله في سمائه، وأمطرت السماء دماً، فكان فقده صريعاً مرملاً بدمائه، أعظم مصيبة في الإسلام.

وتخليداً لحادثة كربلاء الفاجعة، وكربلاء الإباء، وإبقاءاً لحرارتها في النفوس، وجذوتها في العقول، أصبح قبره الشريف موضعاً لزيارته، ومهوى لأفئدة المؤمنين، وملاذاً للمكروبين،

منذ مقتله وحتى قيام الساعة.

فإن زيارة الإمام الحسين عليه السلام في الوعي الشيعي هي عنوان الإيمان الخالص، وعلامة المؤمن العارف، والقيمة التي بها يُتعرّف على إرادة الله في إفاضة الخير على المؤمن.

عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَعْرِضُ حُبَّنَا عَلَى قَلْبِهِ، فَإِنْ قَبِلَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ كَانَ لَنَا مُحِبّاً فَلْيَرْغَبْ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَمَنْ كَانَ لِلْحُسَيْنِ عليه السلام زَوَّاراً، عَرَفْنَاهُ بِالْحُبِّ لَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لِلْحُسَيْنِ زَوَّاراً كَانَ نَاقِصَ الْإِيمَانِ**»[1].

وعَنْ فُضَيْلِ بْنِ عُثْمَانَ الصَّيْرَفِيِّ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام قَالَ: «**مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ الْخَيْرَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ حُبَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَحُبَّ زِيَارَتِهِ، وَمَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ السُّوءَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ بُغْضَ الْحُسَيْنِ وَبُغْضَ زِيَارَتِهِ**»[2].

إن زيارة الإمام الحسين عليه السلام اتخذت في الخطابات

١ - كامل الزيارات، ص١٩٣.

٢ - كامل الزيارات، ص١٤٢.

المعصومية مساحة منقطعة النظير في حجمها وفي مضامينها العالية، التي يذهل لها العقل، وتشرئب لها الأعناق، وتتوق لها النفوس والأرواح، وترخص للسعي نحوها الأموال والأبدان، فقد ملأ أهل البيت عليهم السلام بأحاديثهم الشريفة أسفاراً في مكانة وفضل زيارته وشدّ الرّحال نحو قبره الشريف، وتبيان كيفية نسك تلك الزيارة وآدابها، كل ذلك انبثق من عظمة الإمام الحسين عليه السلام في المعتقد الشيعي، المتكئ على معرفة الإمام وحقيقة ولايته النورية، وعظمة ما قدّم لله تعالى، وعظمة فاجعته الأليمة، فإن الإيمان الصحيح بالإمام الحسين عليه السلام يؤسّس لرؤية سليمة في خصوصيات زيارته، وتكشّف أسرارها، وتفهّم عظمة فضلها عند الله عزّ وجل.

فكانت الزيارة الحسينية ميزاناً للإيمان الصادق للإنسان، ومختبراً لمشاعر المؤمنين، فأي مؤمن يلوي رأسه عن زيارته فهو منتقص الإيمان، وإذا بلغ به الحدّ للاستنقاص فهو من أهل النار لا محالة، ومن وجد في نفسه الشوق والانجذاب نحو قبره العامر، فهو سمة أكيدة على صدق الإيمان، وعلامة على حب

الله له، وبذلك يستحق تعطّفه عليه بالخير في الدينا والآخرة.

إن ضبط الإيمان بالإمام الحسين عليه السلام وتعميق المعرفة به، من شأنها أن تعمّق من العلاقة بزيارته الشريفة، وتعمّق وعيه فيها، ولذلك فإن الموالي الصادق إذا قرأ الروايات عن الإمام الصادق عليه السلام في فضل الزيارة الحسينية، بأنها قد تصل لبعض الزوار بأن يثيبهم الله تعالى عن كل خطوة يرفعها حجّة، وعن كل خطوة يضعها عمرة، وإذا قرأ أن زيارته تعدل ألف حجة، وأن ملائكة الله محدقين بقبره موكلين به إلى يوم القيامة، يسبّحون ويقدسون الله، وثواب أعمالهم لزائريه، فإنه لا يتملّكه العجب، ولا يعتريه النفور عن مفاد الروايات الهائلة، لأن كل ذلك العطاء إنما كان من الله تعالى، وهو عز وجل ذو العطاء غير المجذوذ، فلا حدّ لعطائه ولا نفاذ لفضله، ولأن الموهوب هو الإمام الحسين عليه السلام الذي أعطى كل شيء لله تعالى وبذل فيه مهجته، وجاهد فيه حق جهادة، فلا عجب ولا نكران.

إن الأصوات المنكرة والشاذّة التي اتهمت كتب الحديث بالوضع والغلو في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، من المنتسبين لفئة طلبة العلم أو من غيرهم، كان السبب في انحرافهم عن

الجادّة هو خواء بنائهم الإيماني، وسطحية نظرتهم لولاية أهل البيت عليهم السلام، وجهلهم بمقام الإمام الحسين عليه السلام عند الله تعالى، بل السبب مضافاً إلى كل ذلك، هو في نظرتهم المحجِّمة لله تعالى وعطائه، معتقدين أن يد الله مغلولة، لا يُعطي ولا يهب إلا بمقدار تصوراتهم وبحجم شحّ أنفسهم، وهذا الخلل يدخل في باب التوحيد ومنهج معرفة الله تعالى.

فمن أجل عدم انحراف الرؤية وزيغ البصيرة في شأن الزيارة الحسينية، قدّمنا هذا العرض الموجز للإيمان بإمامة الإمام الحسين عليه السلام في ولايته الإلهية، والانتماء المقدّس إليها.

وفي الحديث الشريف عن إمامنا محمد الباقر عليه السلام ما يفتح الآفاق في سعة فضل زيارة الإمام الحسين عليه السلام التي لم تتحقّق معرفتها حتى الآن، وقد عبّر عن تحقّق معرفة فضلها أن من شأنه أن يُذهب الأرواح ويُفني الأنفس حسرات، بسبب الشوق إلى ذلك الفضل، وبسبب ما فات المحروم من كنوز بركاتها.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام مِنَ الْفَضْلِ، لَمَاتُوا شَوْقاً،**

وَتَقَطَّعَتْ أَنْفُسُهُمْ عَلَيْهِ حَسَرَات»[1].

إن زائر الإمام الحسين عليه السلام عندما يقف أمام قبره الشريف، فإنه يستحضر ذلك الإيمان العميق بإمامة الإمام، معترفاً به، مقرّاً له بالأصل النوري، وبالركن الأساس في الدين، وبامتداد نوره لهداية المؤمنين، ويخاطبه زائراً، أشهد أنك:

«كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ، وَنُوراً فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ، وَنُوراً فِي الْهَوَاءِ، وَنُوراً فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، كُنْتَ فِيهَا نُوراً سَاطِعاً لَا يُطْفَأُ، وَأَنْتَ النَّاطِقُ بِالْهُدَى»[2].

و**«أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَمْ تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تَلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِمَّاتِ ثِيَابِهَا، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ مِنْ دَعَائِمِ الدِّينِ، وَأَرْكَانِ الْمُؤْمِنِين»**[3].

١- كامل الزيارات، ص١٤٢.

٢- كامل الزيارات، ص٢٣٠، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٣- مصباح المتهجد، وسلاح المتعبد، ج٢، ص٧٢١، عن الإمام الصادق عليه السلام.

الفصل الثاني

الإمام الحسين في المعتقد السنّي

تمهيد

إن وقفتنا هذه ستبيّن ملامح شخصية الإمام الحسين عليه السلام وفقاً للمذهب السنّي، ومفادها أن الإمام الحسين عليه السلام شخصية استثنائية فريدة من نوعها في المعتقد الإسلامي، ومن الحيف أن تقارن بأي شخصية أخرى، على الخصوص عند مقارنته بمن اختلف معه في ميدان السياسة، فإن هذه الوقفة تمثّل نقطة ارتكاز بالغة الأهمية للانتقال إلى الحديث عن الزيارة الحسينية، ومن شأنها أن تبُعد التشويش الذي قد يحصل عند المتلقّي، مع وضوحه عند الكثير من الباحثين من مختلف المذاهب الإسلامية.

بل سوف نقوم باستنطاق الأحاديث عبر تبيين دلالاتها الواضحة في ما عليه الإمام الحسين عليه السلام من تميّز في شخصيته، لا من جهة واقعية وتاريخية قد أبهرت العقول، بل من جهة دينية وحيانية، وهذه الجهة هي التي من شأنها أن تشكّل الرؤية الدينية الصحيحة، وبناء المعتقد السليم، ثم تُبنى عليها سائر المقولات الدينية.

فإن أثبتنا شرعية زيارة قبور الصالحين ورجالات الإسلام من جهة، وثبت لدينا في المقابل عمق الصلاح الذي ينضح من قلب الإمام الحسين عليه السلام وروحه، وثبت لدينا شدّ ذلك بوثاق الدين، واعتباره من مقولات الدين وأحكامه، لصدوره عن نبي الإسلام الذي لا ينطق عن هوى ولا يتحيّز لقرابة، فإن حقيقة الزيارة الحسينية تصبح من حقائق الإسلام الثابتة، التي لا تحل عقدة ثباتها أي قوة في الكون، لأنها أصبحت من مختصّات الإيمان، والإيمان عقد وتصديق في القلب.

(1)

الإمام الحسين في السيرة العامة

من ناحية السيرة والنسب، فإنه لا يختلف أحد من المسلمين في أن الإمام الحسين عليه السلام هو بن الإمام علي بن أبي طالب، وأمه السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وجدّه النبي محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو خير نسب، وأرقى منبت، وقد كان حدث ولادته حدثاً مهماً رعاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، رعاية خاصّة، قد ظهرت أصداؤه للجميع.

واستمر الإمام الحسين عليه السلام ينمو ويترعرع في أحضانه الشريفة، وقد عاش مع أبيه كل الأحداث التي مرّت على الأمة الإسلامية، وكان له شأن في نفوس المسلمين عموماً، واستمرّت سيرته بعد أبيه مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام، ثم بعد شهادته، كانت له مواجهة مع يزيد بن معاوية، حيث حشّد الجيوش في وجهه في طف كربلاء، وقُتل الإمام الحسين عليه السلام

فيها بأبشع صورة، هو مع أبنائه وأصحابه.

إلا أن ما سوف نسلّط الضوء عليه هو موقعية الإمام الحسين عليه السلام في الوعي السنّي من جهة دينية، وهو ما يخدم بحثنا موضوعياً، متكئين على خصوص الروايات الشريفة المروية في كتب أهل السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي عرض ظاهرها تنكشف لنا عظمة الإمام الحسين عليه السلام، تلك العظمة التي يحاول البعض إخفاءها أو تهميشها، وفي بحث دلالاتها تنكشف لنا المآلات التي ينبغي أن يصل إليها المسلم، من تأسيس معتقده على محورية إمامة الحسين عليه السلام، وهي الحقيقة الغائبة المغيبة، رغم ثبوت مادتها العلمية في الأحاديث الواردة في جميع كتب المسلمين.

الآن لنأتي لتناول مجموعة من الأحاديث المحورية في مقام الإمام الحسين عليه السلام في المعتقد السنّي.

(2)
سيد شباب أهل الجنة

في صحيح الترمذي، يقول: «**روى بسندين عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة**»[1].

إذا كان الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة، وهو تعبير صريح في نزاهة الإمام الحسين عليه السلام بل مقامه الذي سيتبوأه في الآخرة، فإذا كان كذلك أليس هذا تعبيراً عن مسيرته في الحياة، بأنها كانت متطابقة مع الحق؟ وإذا عرفنا أن أهل الجنة كلهم شباباً فإن الإمام الحسين عليه السلام هو سيد أهل الجنة قاطبة.

فالتدقيق يقتضي منّا أن لا نعبر عن هذا الحديث إلى غيره

---

١ - صحيح الترمذي، ج٢، ص٣٠٦.

إلا بعد أن نصارح العقل بضرورة استكشاف الحقائق التي يبشّر بها، فإن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يخبر المسلمين بمجموعة من الحقائق لا للعبث أو التسلية، إنما كان يريد أن يصل المسلمون إلى ما تؤدي إليه تلك الحقائق، فأن يكون الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، فهذا يعني أننا نستحضر كل الآيات التي تتحدث عن الجنة ونعيمها، والتي تصف لنا أهل الجنة الذين يتنعمون فيها، وكيف أن الله تعالى رضا عنهم، وبذلوا جهدهم في طاعته تعالى حتى بوأهم الجنان، فنعي ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن الإمام الحسين عليه السلام هو سيد شباب أهل تلك الجنة، ونعي عمق ذلك المعنى، والدلائل التي يدل عليها.

ونحن نهتم لدلالة هذا الحديث ونحاول تتبع دلالاته في الأفق القرآني، لاشتهاره وعدم نكرانه، بل، لأن الحديث، قد روي بصور متعددة منها أن الله تعالى بعث ملكاً من الملائكة ليقول للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا القول، بالرغم أننا نعتقد يقيناً أن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كاف في الكشف عن مراد الله تعالى، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لا ينطق عن الهوى، بل كل ما ينطق به هو مطابق للوحي الإلهي، إلا أننا نذكر ذلك الحديث المباشر، للتأكيد على هذا المعنى الوحياني،

ولمخاطبة القوم بما هو صريح، لكف التبرير بأن ما يقوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد يكون نابع من الشعور بالعاطفة، والعياذ بالله.

روى ابن حبّان في صحيحه، عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: «**أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله -وَسَلَّمَ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي حَتَّى صَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَاتَّبَعْتُهُ، فَقَالَ: عَرَضَ لِي مَلَكٌ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيَّ، وَبَشَّرَنِي أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[1].

فلو أن منصفاً قرأ هذا الحديث، لما كلّ لسانه عن ذكر الإمام الحسين بخير، ولأخذ بمجامع قلبه وتعلّق به تعلقاً كبيراً، بل ولَتَتبّع دلالاته العقيدية المهمّة، ولذلك سوف نتتبّع دلالة أن يكون الإمام الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، عبر تتبّع الدلالات القرآنية للجنة وأهلها، لأن ما ينطق به النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو منطق متناغم مع آيات القرآن الكريم، بل هو متطابق كل الانطباق معه، فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتحدّث بمنطقين مغايرين، بل كل ما ينطق به وما يشير إليه هو متفاعل وداعم ومأخوذ من القرآن الكريم، وهذا هو منطق الدين الجديد الذي

١ - صحيح بن حبان، ج١٥، ص٤١٣، ح٦٩٦٠.

جاء به الإسلام، خلافاً لمنطق الشعراء والأعراف الجاهلية.

مواصفات أهل الجنة

قال تعالى في مواصفات أهل الجنة: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿**لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ**﴾[2].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَثَابَهُمُ اللّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ**﴾[3].

---

١ - سورة البقرة، آية ٢٥.

٢ - سورة آل عمران، آية ١٩٨.

٣ - سورة المائدة، آية ٨٣-٨٥.

ونأتي إلى سورة الإنسان التي نزلت آياتها في أهل البيت عليهم السلام في بيت الإمام علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، وذلك بإجماع المسلمين سنة وشيعة، لنرى كيف أن الإمام الحسين عليه السلام وهو أحد الأشخاص الذين نزلت فيهم هذه الآيات، يعتلي أعلى مقامات الجنة ليكون سيدها فعلاً وحقاً بنص قرآني عظيم، وجب أن يتفكر فيه كل من لا يؤمن بالولاية وكل من لا يتخذ الإمام الحسين عليه السلام إماماً مفترض الطاعة، أو يحاول أن يوهم الناس باعتيادية شخصية الإمام الحسين عليه السلام، أو كونه مجرد رجل صالح وحسب.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً. عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً. يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً. وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً. فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً. وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً. مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً. وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً...**﴾[1].

١ – سورة الإنسان من آية ٥ إلى ١٤ وانظر ما بعدها..

يذكر غالبية من اهتموا بأسباب النزول ووقائعه من السنة والشيعة أن هذه الآيات وما بعدها نزلت في حقّ الإمام علي والزهراء والحسن والحسين عليهم السلام، وقد وصلت المرويّات إلى حد الشهرة، حيث عدّها صاحب موسوعة الغدير إلى ٣٦ مصدراً من مصادر أهل السنة[١]، وقد ظفرتُ بالعديد من هذه المصادر، فعلى سبيل المثال: نقل النيسابوري في أسباب النزول «قال عطاء عن ابن عباس: وذلك أن علي بن أبي طالب – عليه السلام – نوبة أجر نفسه يسقى نخلاً بشيء من شعير ليلة، حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوا يقال له الخزيرة، فلما تم إنضاجه، أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه وطووا يومهم ذلك، فأنزلت فيه هذه الآية[٢].

---

١ – آيات الولاية في القرآن، آية الله العظمى مكارم الشيرازي، ص ١٦٤.

٢ – أسباب نزول الآيات، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (من علماء السنة) ص٢٩٧، وقد ذكرها في تفسير القرطبي في الجزء ١٩ الصفحة ١٣٥ وما قبلها، ولكنه ضعف الحديث لمجرد أنه لم يفهم كيف يقوم الإمام

والرواية التي وردت أكثر تفصيلاً في مصادر أخرى:

عَن ابْن عَبَّاس: أَن الْحسن وَالْحُسَيْن (رَضِيَ اللهُ عَنْهما) مَرضا، فَعَادَهُمَا رَسُول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فِي نَاس مَعَه، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْحسن، لَو نذرت عَلَى ولدك، فَنَذر عَلّي وَفَاطِمَة وَفِضة جَارِيَة لَهما، إِن برئا مِمَّا بهما أَن يَصُومُوا ثَلَاثَة أَيَّام، فشفيا، وَمَا مَعَهُمَا شَيْء، فَاسْتقْرض عَلّي (رَضِيَ اللهُ عَنْه) من شَمْعُون الْخَيْبَرِيّ الْيَهُودِيّ ثَلَاثَة آصَع من شعير، فَطحنت فَاطِمَة صَاعا واختبزت خَمْسَة أَقْرَاص عَلَى عَددهمْ، فَوَضَعُوهَا بَين أَيْديهم لِيُفْطِرُوا، فَوقف عَلَيْهِم سَائل فَقَالَ: السَّلَام عَلَيْكُم أهل بَيت مُحَمَّد، مِسْكين من مَسَاكِين الْمُسلمين، أَطْعمُونِي أطْعمكُم الله من مَوَائِد الْجنَّة، فَآثَرُوهُ وَبَاتُوا وَلم يَذُوقُوا إِلَّا المَاء، وَأَصْبحُوا صياما، فَلَمَّا أَمْسوا وضعُوا الطَّعَام بَين أَيْديهم لِيُفْطِرُوا، فَوقف عَلَيْهِم سَائل فَقَالَ: يَتِيم من أَيْتَام الْمُسلمين، أَطْعمُونِي أطْعمكُم الله من مَوَائِد الْجنَّة، فَآثَرُوهُ وَبَاتُوا لم يَذُوقُوا شَيْئا إِلَّا المَاء،

علي عليه السلام بالإيثار إلى هذه الدرجة. وذكر هذه الرواية دون تضعيف العديد من مصادر أهل السنة، مثل ذخائر العقبى، لأحمد بن عبد الله الطبري، ص ١٠٣.

فَأَصْبحُوا صياما، فَلَمَّا أَمْسوا وضعُوا الطَّعَام لِيُفْطِرُوا، فَوقف عَلَيْهِم سَائل وَقَالَ: أَسِير من أَسَارِي الْمُسلمين، أَطْعمُونِي أطْعمكُم الله من مَوَائِد الْجنَّة، فَآثَرُوهُ وَبَاتُوا وَلم يَذُوقُوا إِلَّا المَاء، فَلَمَّا أَصْبحُوا أَخذ عَلّي (رَضِيَ اللهُ عَنْه) بيد الْحسن وَالْحُسَيْن، وَأَقْبلُوا إِلَى رَسُول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) فَلَمَّا رَآهُمْ يَرْتَعِشُونَ كَأَنَّهُمْ الْفِرَاخ من شدَّة الْجُوع، قَالَ: مَا أَشد مَا يسوءني مِمَّا أرَى بكم، وَقَامَ فَانْطَلق مَعَهم فَرَأَى فَاطِمَة فِي محْرَابهَا قد الْتَصق ظهرهَا ببَطْنِهَا وَغَارَتْ عَيناهَا، فساءه ذَلِك، فَنزل جِبْرِيل (عَلَيْهِ السَّلَام) وَقَالَ: خُذ يَا مُحَمَّد، هَنَّأَك الله فِي أهل بَيْتك، فَأَقْرَأهُ السُّورَة[1].

ماهي دلالة السيادة في الجنة؟

كلمة (سيدا أهل الجنة) التي وصف بها الرسول الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم الإمام الحسن والحسين عليهما السلام، تدلّ على أن الإمام الحسين عليه السلام ليس شأنه من شأن الذين يدخلون الجنة من أصحاب الجرائر والذنوب التي غفرها الله لهم، أو هو من الذين التزموا الواجبات وانتهوا على المحرمات وحسب، بل

١ - كتاب تخريج أحاديث الكشّاف، جمال الدين الزيلعي، ج٤، ص١٣٤، ح١٤٤٣، قال رواه الثعلبي في تفسيره.

هو من السادة والأفاضل الذين تعالوا وترفعوا عن ارتكاب ما يغضب الله تعالى حتى في أصغر الأشياء، وتفانوا في نيل مرضاته بأفضل الأعمال، وتسابقوا إلى الخيرات ونالوا أعلاها، وقدموا التضحيات الجسام التي لا يستطيع أحد أن يقدمها للدين، وأخلصوا لله تعالى بما لا يزيد عليهم أحد في الخلوص، فلا يمكن أن يأتي البعض ليقول بأن الإمام الحسين عليه السلام خرج عن حدّه وشقّ عصا الأمة، ولذلك قتل بسيف جدّه، وما شابه ذلك من مقولات تجعل الإمام الحسين عليه السلام كمجرمي الحرب أو الذين لا يتورّعون في طلب الدنيا، أو من الذين يتهاونون في دماء المسلمين، فإن هذا لا يناسب مقولة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من أنه سيد شباب أهل الجنة، أي أنه قام بالعمل الذي استحق به ذلك المقام، وهذا هو مقتضى العدل الإلهي.

ولا يفوتنا أن نستفيد من كلمة (سيدا أهل الجنة) بأن الإمام الحسين عليه السلام سيبقى كذلك ما بقي الدهر، وما طلعت شمس على بشر، وذلك لأن كلمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عامة شاملة لكل البشر والأزمنة، لأن الجنة هي حصيلة أعمال العباد منذ أن

خلق الله تعالى الخلق وحتى قيام الساعة، فسيد أهلها هو سيد الماضين منهم واللاحقين إلى قيام الساعة.

فلقد أصبح الإمام الحسين خالصاً في الطاعة لا تشوبه شائبة، لذلك فهو قد اعتصم عن الخطأ، فصار ممثلاً للحق وناطقاً به، ومدافعاً عنه، وقائداً لطلاب الحق في كل مكان وزمان. وضمان حقيقة ذلك أنه سيد أهل الجنة.

الإمام الحسين عليه السلام زينة الجنة

كل أمل الإنسان أن يحظى برضا الرب جلّ وعلا، لكي يحوز على بقعة في الجنة التي وعد الله بها عباده المخلصين، ليستظلوا تحت جنانها، ويسقون من مزاجها، ويتكئون على أرائكها، وتجري من تحتهم أنهارها، فالجنّة دليل النهج القويم وعلامة على الرضا، ونتيجة لفلاح الإنسان، فكل يسعى إليها، ليتزيّن بها، ويعيش عيشاً أبدياً راضياً مرضياً في كنفها، فكيف بك إذا عرفت أن الجنة ذاتها، التي يرومها كل الخلق تطلب زينتها وتسعى لتتشرف بشرف آخر، فيجود عليها ذو الجود سبحانه وتعالى بزينة تبتهج بها وتفخر، فتعبّر عن ذلك وتعلنه.

لقد منّ الله تعالى على الجنة بالإمام الحسين عليه السلام زينة

عظيمة، حيث جاء في مصادر أهل السنة في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي أنه: روى بسنده عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما استقر أهل الجنّة في الجنّة قالت الجنّة: يا ربّ، أليس وعدتني أن تزيّنني بركنين من أركانك؟ قال: ألم أزيّنك بالحسن والحسين؟

قال: فماست الجنّة ميساً كما تميس العروس»[1].

وقد نقلت هذه الرواية مجموعة من مصادر أهل السنة، منها على سبيل المثال، المعجم الأوسط للطبراني في الجزء السابع، في الصفحة رقم ١٤٩.

«عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه – وآله – وسلم): **فخرت الجنّة على النار فقالت: أنا خير منك، فقالت النار: بل أنا خير منك، فقالت لها الجنة استفهاماً: وممّه؟ قالت: لأن فيّ الجبابرة ونمرود وفرعون فأسكتت، فأوحى الله إليها لا تخضعين، لأزينن ركنيك بالحسن والحسين فماست كما تميس العروس في خدرها**»[2].

---

١ – تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٢، ص ٢٣٨.
٢ – المعجم الأوسط، ج٧، ص ١٤٩.

على الأخص إذا عرفنا أن هنالك روايات في مصادر أهل السنة تقول بأن الإمام الحسين عليه السلام هو من أول من يدخلون الجنة مع جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى الطبري أن الإمام علي عليه السلام قال: «**أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين. قلت: يا رسول الله! فمحبونا؟ قال: (من ورائكم)**». أخرجه أبو سعيد[1].

فإذا كان الإمام الحسين عليه السلام هو زينة الجنة وفخرها، وهو أول من يدخلها مع سول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي المقابل فإن الناس يقيسون أنفسهم بمقدار قربهم من الجنة واستحقاقهم لها، فنتيجة ذلك أن الإمام الحسين عليه السلام هو مقياس رباني لابد أن يُقاس بفعله كل فعل، ولابد أن يطابق مع قوله كل قول، ولابد من أن يحتذي نهجه كل نهج.

١ – مختصر ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تأليف أبي العباس أحمد بن محمد الطبري المكي.

(3)
حسين مني وأنا من حسين

والحديث الذي لا يختلف فيه اثنان من المسلمين قاطبة، هو ما أقرّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في حق الإمام الحسين بقوله حسين مني وأنا من حسين، كما في صحيح الترمذي في الجزء الثاني منه:

روى الترمذي في صحيحه، بسنده عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط**»[1].

ذكر السيوطي في جامع الأحاديث، في تخريجه للحديث، أنه روي في «البخارى فى الأدب، والترمذى - حسن - وابن ماجه، وابن سعد، والطبرانى، والحاكم، وأبو نعيم فى فضائل الصحابة عن يعلى بن مرة الثقفى.

---

١ - صحيح الترمذي، ج٢.

أخرجه البخارى فى الأدب ١/ ١٣٣، رقم ٣٦٤، والترمذى ٥/ ٦٥٨، رقم ٣٧٧٥ وقال: حسن. وابن ماجه ١/ ٥١، رقم ١٤٤، والطبرانى ٢٢/ ٢٧٤، رقم ٧٠٢، والحاكم ٣/ ١٩٤، رقم ٤٨٢٠ وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضًا: أحمد ٤/ ١٧٢، رقم ١٧٥٩٧، وابن أبى شيبة ٦/ ٣٨٠، رقم ٣٢١٩٦.[1]»

هذا الحديث المتواتر المشهور عند كل من السنة والشيعة، ولا يمكن لأي مرتاب أن يشكّك فيه، إلا أن يكون قد امتلئ قلبه حقداً على أهل البيت عليهم السلام، وهو صريح في فضيلة الإمام الحسين عليه السلام ومدى الارتباط بينه وبين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وله دلالة معنوية قوية في الترابط بينهما، لا بسبب العامل النسبي فحسب، بل إننا نكاد نجزم أن هذا الحديث لم يأت ليخبر الناس بأن هنالك نسباً بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبين حفيده الإمام الحسين عليه السلام، لأن جميع المسلمين متسالمين وكانوا على علم ويقين، وقد تناقلت المرويات عند المسلمين في أحداث مولده وكيفية اهتمام الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم به، وكيف أنه أظهر أحكام سنن المولود في ولادته وولادة أخيه

١ - جامع الأحاديث، السيوطي، ج١٢، ص١٢٦، ح١١٥٩٩.

الإمام الحسن عليه السلام، بل كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ الإمام الحسين عليه السلام صغيراً ويلاعبه ويهتم به ويلثمه ويضعه في حجره، وإذا كان صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر يخطب في الناس ويعظهم، ينزل من منبره إذا أقبل الإمام الحسين عليه السلام إلى المسجد، لقد عاين كل المسلمين تلك الأحداث ولم يستطع كل مزوّري التاريخ أن يخفوها أو يحذفوها عن المرويات، لأنها تواترت واستكثرت.

فالعلاقة التي يريد أن يبينها رسولنا العظيم صلى الله عليه وآله وسلم هي علاقة إلهية رسالية متعلقة بمهمة الرسالة، ومتعلقة بذات أهداف النبوة ومقاصدها التي يراد لها أن تثبّت في الواقع، فإن كلمة (حسين مني) أي أنه منه عملاً، بما يمثل ذلك العمل من نوع ونية وأهداف، كقول إبراهيم الخليل: ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾[1]، فهو ذلك الاتباع الذي يقتفي الأثر بالأثر والخطوة بالخطوة والنهج بالنهج.

وهكذا يمكننا أن نفهم بوضوح وجلاء، القسم الآخر من الحديث وهو (وأنا من حسين)، فكيف يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من

١ - سورة إبراهيم، آية ٣٦.

الإمام الحسين عليه السلام وهو جدّه، إلا أن يكون المعنى أسمى من القرابة النسبية، فلا يصح أن يكون الجد والأب من الأبن، إلا بالمعنى الذي نحن بصدده، وهو أن يكون مصداقاً له ومتبعاً له، وهنا يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الإمام الحسين عليه السلام لأنه يقوم بإنقاذ الدين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيصلح ما أفسده الطغاة، ويقاوم كل مظاهر الانحراف.

(4)
أحب اللّه من أحب حسيناً

ونمضي قدماً مع هذا الحديث الذي رواه أهل السنة والشيعة في كتبهم، ومع قسم آخر عميق المضامين، من الأهمية أن يقف عنده كل ذي عقل، ويحاكي نفسه وقلبه عنه وعن دلالاته، وهذا القسم هو (أحب الله من أحب حسيناً)، هنا يثبت الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم أن المقولة الأولى لم يكن يقصد بها العامل النسبي، لأن هذه العلاقة لها امتداد إلهي، ولها آثار متصلة بالله تعالى، وهذه الآثار التي تعزز بشكل قوي مقام الإمام الحسين عليه السلام كإمام معصوم لا يزيغ عن الحق قيد أنملة، ولا يحيد البتة عن النهج السوي الذي أسّسه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك لأن النتيجة هي أن حب الله عز وجل سيكون حليفاً لمن يحب الإمام الحسين عليه السلام، ومتلازماً معه لا ينفك عنه، وهل يجعل الله تعالى حبه الذي يتمناه كل

الصالحين، متلازماً إلا مع من يمثل الرسالة الإلهية ويعبّر عنها بكل صدق وبكل دقة، وبأتم شكل من أشكال التطابق.

لعل البعض يحلو له أن يحرّف معنى المحبة وتلازمها إلى صورة عاطفية إلى ولد صغير لم يبلغ الحلم بعد، كما يسعى العديد من الخطباء والكتاب في تصوير أن هذه الروايات العميقة الدلالة، ماهي إلا تعبير عن عاطفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تجاه أولاده، أو هي مختصة بطفل صغير ليس فيها دلالة رسالية عقيدية، وهذا مجانب للصواب، فحاشا لله ولرسوله أن يقرروا حقائق كبيرة وتحمل في طياتها المعاني الجسام، لمجرد العاطفة والنسب.

من أفضل ما طرح على مستوى خطاب أهل السنة والجماعة في الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموضوع هو ما خطه الكاتب والباحث الشيخ عبد الله العلايلي في كتابه (تاريخ الحسين، نقد وتحليل)، حيث بين مجموعة من الحقائق المهمة التي يمكن للباحث أن يكتشفها، إلا أنه لا يخرج بنتائج ذات صبغة عقيدية أو الزامية، إنما يخرج بنتيجة عظمة شخصية الإمام الحسين عليه السلام، وهنا ننقل بعض ما قاله فيما يختصل بتعليقه

عن موضوع هذا الحديث.

يقول: «الحسين الطفل حلّ في بيئة النبوة التي هي الإنسانية العليا في المظهر البشري، فكان بذلك أسمى رجل لأنه أسمى طفل في أسمى بيئة.

فسلام عليه يوم ولد...

حينما فصل، أي خرج الحسين عليه السلام من قوّةٍ في النواة، إلى كائن استكنت فيه القوة على نحو آخر، أُذن لخصائص الوراثة أن تخرج من نقطة الدائرة إلى محيطها.

فسلام عليه يوم ولِد...

علّق النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسيناً، لأنه رأى ظله ورأى حقيقته في الطفل الوليد، فحب النبي له لم يكن بمحض العاطفة فقط، بل بشعور آخر أيضاً هو الإبقاء على الذات.

فسلام عليه يوم ولد...

«**اللهم أحِبّه فإني أحبه**» كلمة كأنها الوسام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمولوده الصغير، والوسام في لغة المراتب الاجتماعية، منبهة

لحامله على أنه قام بعمل عظيم. وهذا وسام ينبّه على عمل خالد سوف يقع من الطفل الجديد، ولم يمنحه قبل الاستحقاق، لأن عمله الخالد سيكون تضحية رهيبة تضع حدّاً للحياة.

فسلام عليه يوم ولد..

النبوة طاقة تغلب المادة وتتمدد في القلب والعقل والضمير، والحكمة طاقة تغلبها المادة إلا أنها تسيطر على القلب والعقل والضمير.

والفرق أن هذه، أي الحكمة، تبدأ سيرها من المادة إلى ما وراء، وتلك أي النبوة تبدأ السير من الطاقة إلى ما وراء، وبينهما أن الأولى لا تخرج عن المادة إلا بمقدار فهي فيها أبداً، كما أن الثانية لا تتصل بالمادة إلا بمقدار فهي فوقها أبداً، وجلوة النبوة الصغيرة حكمة كبيرة.

فسلام عليه يوم ولد...

يقول السيد الطباطبائي ـ والكلام للشيخ العلايلي ـ

غـرس سـقاه رسـول الله مـن يـده
وطـاب مـن بعد طيـب الأصـل فارعه

النبوة ليست شيئاً من عمل الدنيا، إلا فيما يتصل بصلاحها وتهذيبها، فميراثها لا يدخل في زخرف الحياة الذي هو سر التراب، وإنما يدخل فيما ينتظم التقوى والفضيلة مما هو سر القلب ومعنى الوجدان.

وكان سر قلب النبي ﷺ هو إرث الحسين منه، فطاب من بعد طيب الأصل.

فسلام عليه يوم ولد...

لأول مرة يخشع الكمال الإنساني على منظرة الجد والسبط في ساعة قُبلةٍ أو عناقٍ يدغدغ أحلام الروح، ويمسّها بتيار جديد يجعلها وضيّة في تسامٍ أبدي. خشع الكمال الإنساني لأول مرة وبارك ما يرى.

فسلام عليه يوم ولد...

نظر النبي إلى الحسين طويلاً ليرى أين هو من طبيعته، ونظر الحسين إلى النبي كذلك ليتملأ منه ويفجّر ينابيعه، ثم انصرفا بمعنى واحد، هذا صوب الماضي وهذا صوب المستقبل. ولكن الجد سار وهو يلتفت إلى سبطه الذي أسلمه إلى المستقبل في حنان وحذر.

هذا المستقبل الذي لم يثبت في طبعه من غصن الزيتون إلا أنه يثمر حبّاً يُلهي المعدة، فلم يأمنه على طفله الذي أرسله بقبس الهيكل، وزيت زيتونه في مصباحه.

فسلام عليه يوم ولد...

إرتحل الحسين عليه السلام ظهْر جدّه العظيم وهو ساجد يصلّي، وجاء في الحديث أن أقرب ما يكون المرء من ربه وهو ساجد.

ومعنى هذا أن النبوة الساجدة كانت معراجاً روحياً لهذا الطفل الذي استودع فيه النبي أسراره العظمى وإنسانيته العليا.

فسلام عليه يوم ولد...»[1].

محبة الحسين محبة للنبي

من الحقائق المهمّة في الحديث عن حب الإمام الحسين عليه السلام، ولأنه حب منشؤه الدين، وباعثه العقيدة، وهو استجابة لدعوة القرآن الكريم ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ**

١ – تاريخ الإمام الحسين عليه السلام.. نقد وتحليل، الشيخ عبد الله العلايلي، ص ١٨٠، كانت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٤١.

فِي الْقُرْبَى﴾[1]، فإن حبّ الحسين عليه السلام هو تعبير عن حبّ النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكلّما لهج اللسان بذكر الإمام الحسين عليه السلام فهو ذكر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وكلّما أظهر المسلم في سلوكه محبّته للإمام الحسين عليه السلام، فإن ذلك يعني إظهاراً لمحبّة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يعني مزايدة عليه، أو استنقاصاً من حبّه صلى الله عليه وآله وسلم.

واستدلالاً على هذه الحقيقة، نرى أن الروايات التي رواها أهل السنّة في مجال حبّ الحسين عليه السلام، تفيد هذا المعنى بجلاء لا يقبل التشويش، روى أحمد في مسنده، عن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يقول عن الحسنين: «**مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي**»[2].

بل وأن من يدّعي محبّة النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلا بد أن يُحب الإمام الحسين عليه السلام، وعدم محبّته هو تخلّف عن تعاليم النّبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّه قال في حديث آخر، رواه ابن حبّان في صحيحه، عن عاصم عن زر عبد الله: «**كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَثِبَانِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيُبَاعِدُهُمَا النَّاسُ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعُوهُمَا، بِأَبِي هُمَا وَأُمِّي، مَنْ أحبني،**

١ - سورة الشورى، آية ٢٣.

٢ - مسند أحمد، ج١٦، ص٥٠٦، ح١٠٨٧٢.

فليحب هذين»[1].

فإن الدليل الصادق على محبّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو محبّة الإمام الحسين عليه السلام، وهذه دلالة مهمّة، ومكمّلة للحديث الأول، لتكون المعادلة متقابلة متكاملة، حب الحسين هو حب للنبي، وحب النبي هو حب للحسين، وأي اختلال في أحد طرفي المعادلة، هو مخالفة لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخروج عن جادة الدين الصحيح.

١ - صحيح بن حبّان، ج١٤، ص٤٢٧، ح٦٩٧٠.

(5)

الحسين سبط من الأسباط

يفاجئ الرسولُ الأكرم ﷺ العقلَ بأمر في غاية الأهمية، وهو قوله في نفس الحديث الذي رواه الترمذي في صحيحه: (الحسين سبط من الأسباط) وغيره من الصحاح، فإنه ﷺ بكل تأكيد لا يريد من قوله ذاك أنه سبط رسول الله بالمعنى النَسَبي كما أسلفنا، فالكل يعلم ذلك وهو تحصيل حاصل، إنما نسبه إلى الأسباط وأشار إلى أنه من (الأسباط) المعهودين في الذاكرة الإسلامية، فمن هم أولئك الأسباط؟

لابد أن نرجع إلى القرآن الكريم، ليعطينا الحقائق الكبرى حول أولئك الأسباط الذين اقترنوا بالرسل والأنبياء، حيث قال تعالى:

﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ، لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1].

وقال عز وجل: **﴿قُلْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[2].

وقال عز من قال: **﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً﴾**[3].

فالأسباط و«**هم أولاد إسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم، وهم اثنا عشر سبطاً من اثني عشر ابناً**»[4]، وهذا

---

١ – سورة البقرة، آية ٦٧.

٢ – سورة آل عمران، آية ٨٤.

٣ – سورة النساء، آية ١٦٣.

٤ – تفسير من هدى القرآن، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، ج١، ص ٢٣٥، ط٢.

يعني أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما صرّح بأن الإمام الحسين عليه السلام هو سبط من الأسباط، فهو يشير إلى الأسباط المعهودين، الذين احتلوا مكانة مميزة في تاريخ الأنبياء وحضوا بالاجتباء الرّباني، حيث اختارهم الله تعالى، كما اختار الدين، كما في قوله تعالى: **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**[1].

وكما اصطفى الله مريم على نساء العالمين: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ﴾**[2].

وهكذا فإن الله طهّر الإمام الحسين عليه السلام في آية التطهير، واصطفاه كما هي دلائل قول النّبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث هو سبط من الأسباط.

---

١ – سورة البقرة، آية ١٣٢.

٢ – سورة آل عمران، آية ٤٢.

(6)

الإمام الحسين مطهّر معصوم

وهذا مسلم في صحيحه يدرج حديثاً واحداً فقط تحت عنوان «باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ، وهذا الحديث دال على أنه لا يمكن أن يدّعي مدع أن أهل بيت النبي ﷺ هم غير فاطمة والحسين وعلي عليهم السلام، إلا مفتر قد أخذ الباطل منه مأخذه. لذلك فإن مسلم أطلق على هذا الباب تسمية فضائل أهل البيت عليهم السلام وذكرهم ضمن الرواية، وقد ذكر فضائل غيرهم بحسب المدعى، وحتى زوجات الرسول ﷺ في أبواب مستقلة.

وإليك هذا الحديث المهم:

يقول: «خرج النبي ﷺ غداة وعليه مِرط مُرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي - عليه السلام - فأدخله، ثم

جاء الحسين – عليه السلام – فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ – عليه السلام – فأدخله، ثم قال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1].

فهذا الحديث المعروف باسم حديث الكساء، رواه مسلم في صحيحه، وعدد غير قليل من المصادر السنّية بأسانيد صحيحة لا تقبل الشّك، ومن رواه بسند صحيح ابن حبّان في صحيحه، والترمذي، وأحمد والحاكم والطبراني والبيهقي بألفاظ متقاربة[2].

الذي يتّضح من خلاله، ثلاث حقائق مهمة:

الأولى: أن أهل البيت عليهم السلام هم هؤلاء، هم المشار إليهم في الآية والتي نزلت فيهم، وهم الإمام علي والزهراء والإمام الحسن والحسين عليهم السلام. وإن دخول أحد آخر يحتاج إلى دليل، خصوصاً مسمّى أهل البيت، ذلك المصطلح القرآني والشرعي المعتمد، لأن هذه التسمية جاءت من الله تعالى

١ – صحيح مسلم باب فضائل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
٢ – انظر المصادر نفسها، وكتاب الحسين حفيداً وشهيداً، الشيخ عرفان الدمشقي، ص١٤.

وخطّتها يدُ الحكمة الالهية بآية قرآنية لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها.

الثانية: أنهم مطهّرون من كل رجس، بل هنالك مبالغة في التطهير في قوله تعالى (ويطهرّكم تطهيراً) ومن قبلها أداة التأكيد (إن)، وبعدها الفعل الرباني (يريد الله)، ولام التأكيد في (ليذهب)، كل ذلك تأكيدات على التطهير من كل رجس، وهذا يعني العصمة التي هي التنزيه عن الخطأ بما يشمل المعنوي والمادي كما هي استخدامات كلمة الرجس قرآنياً.

الثالثة: أن هذا التطهير تحقيقاً لإرادة الله تعالى، فقوله (إنما يريد الله)، تصريح بإرادة الله تعالى المختصة بأهل البيت عليهم السلام المذكورين والمحصورين بقوله (إنما)، فهي إرادة تكوين لا تشريع، لأنه حصر هذه الإرادة لأشخاص بعينهم.

فإن الله قد طهّر الإمام الحسين عليه السلام عن كل خطأ، ونصّ على ذلك في آية قرآنية مقدّسة لا يستطيع أحد تبديلها أو انكارها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(7)

ابن الرسول الذي يباهل به

من الفضائل المشهودة للإمام الحسين عليه السلام في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قدّمه للمباهلة كأحد الشخصيات المعبّرة عن الدين، ولهم من معزّة خاصة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي المعزّة الدينية التي تكشف عن موقعية محورية، وتكشف عن أن الإمام الحسين عليه السلام هو ممن يقدّم في المواجهة في مشاهد التحديات الدينية، فإن المباهلة مع نصارى نجران هي قصة شهيرة، وحدث اجتماعي جماهيري، قد جرت فصوله أمام مرأى ومسمع من المسلمين والنصارى، في قصة تحدّ كبير جعل دعوة النبوة تحت المحكّ، وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تلك الواقعة بانتصار مشهور، عزّز الإسلام في نفوس المسلمين، وغرس فيها الثقة الكبيرة، وما كان ذلك ليحصل إلا من وثوق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن قدّمهم بين يديه في المباهلة، من

مقام عظيم عند الله تعالى.

ولقد روى هذه الحادثة العديد من كتب وتفاسير أهل السنة، لاتساع شهرتها، ومهم أحمد بن حنبل في كتابه فضائل الصحابة:

عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: جَاءَ رَاهِبَا نَجْرَانَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): أَسْلَمَا تَسْلَمَا، فَقَالَا: قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): كَذَبْتُمَا، مَنَعَكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ ثَلَاثٌ، سُجُودُكُمَا لِلصَّلِيبِ، وَقَوْلُكُمَا: (اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا (، وَشُرْبُكُمَا الْخَمْرَ، فَقَالَا: فَمَا تَقُولُ فِي عِيسَى؟ قَالَ: فَسَكَتَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿**ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ. إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ. فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ**﴾[1].

١ - سورة آل عمران، آية ٥٨ ـ ٦١.

قَالَ: فَدَعَاهُمَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِلَى الْمُلَاعَنَةِ، قَالَ: وَجَاءَ بِالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ، وَفَاطِمَةَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدَهُ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: أَقْرِرْ بِالْجِزْيَةِ وَلَا تُلَاعِنْهُ قَالَ: فَرَجَعَا، فَقَالَا: نُقِرُّ بِالْجِزْيَةِ وَلَا نُلَاعِنُكَ قَالَ: فَأَقَرَّا بِالْجِزْيَةِ[1].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ أَهْلِ نَجْرَانَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْعَاقِبُ وَالسَّيِّدُ، فَدَعَاهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَا: أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ، قَالَ: كَذَبْتُمَا إِنْ شِئْتُمَا أَخْبَرْتُكُمَا بِمَا يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ؟ فَقَالَا: هَاتِ أَنْبِئْنَا، قَالَ: حُبُّ الصَّلِيبِ، وَشُرْبُ الْخَمْرِ، وَأَكْلُ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ.

فَدَعَاهُمَا إِلَى الْمُلَاعَنَةِ، فَوَعَدَاهُ عَلَى أَنْ يُغَادِيَاهُ بِالْغَدَاةِ، فَغَدَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَبِيَدِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا، فَأَبَيَا أَنْ يُجِيبَا، فَأَقَرَّا لَهُ بِالْخَرَاجِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ فَعَلَا لَمُطِرَ الْوَادِي نَارًا[2].

---

١ - فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ج٢، ص٧٧٦، ح١٣٧٤.

٢ - أسباب النزول، الواحدي، ج١، ص١٠٥. وقال: أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢/ ٥٩٣، ٥٩٤) وابن مردويه وأبو نعيم (فتح القدير: ١/ ٣٤٧) من طريق داود به وإسناده صحيح.

ولأن حادثة المباهلة مع النصارى وتقديم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته عليهم السلام، لها دلالات بالغة الأثر في فضيلة أشخاصها، ومنهم الإمام الحسين عليه السلام، فقد قام البعض بروايتها بأشكال مجزوءة، قطعوا منها ما جاء في الروايات الشيعية من اعتراف النصارى بفضل أهل البيت عليهم السلام، وبما عاينوه من اقتراب العذاب، وتتكشّف لنا اضطراب رواية البعض لها، من محاولة التشويش في عبارة تقديم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل بيته عليهم السلام، فإن المقطوع به ولم يختلف عليه اثنان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقدّم أحداً غير الإمام علي عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وهم المعنيون بأنفسنا ونساءنا وأبناءنا، كما ذكره الواحدي في أسباب النزول، وذكر أن إسناد الحديث صحيح.

لكننا نجد أن أحمد بن حنبل يقول: (وجاء بالحسن والحسين وفاطمة أهله وولده)، وتراه من يذكر الإمام علي عليه السلام مع شهرة مجيء الإمام علي عليه السلام في سائر الروايات، والبعض الآخر يروي عبارة أحمد نفسها، ويضيف عليها واو المعية فيقول بعد ذكر الحسين والحسين وفاطمة (وأهله وولده)، وهنا يتغيّر المعنى بشكل مفضوح، إذ أن العبارات في الأحاديث قالت جاء

بعلي وفاطمة الحسين والحسين، فقط، وذكر أحمد (أهل وولده) كتعريف للمذكورين، إلا أن إضافة الواو تعني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالمذكورين ومعهم أهله وولده، فيا ترى من هم ولده غير الحسين والحسين؟

وعلى كل الأحوال، فإن الإمام الحسين عليه السلام كان من الشخصيات التي باهل بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم نصارى نجران، وهذا بحد ذاته له دلالات بالغة الأهمية في مقام الإمام الحسين عليه السلام ووجاهته عند الله تعالى.

فكل هذه الأحاديث وكثير مثلها، تثبت بما لا يدع مجالاً للشك في مكانة الإمام الحسين عليه السلام وموضعه، الذي أصبح حبّه عنواناً لحب الله، أي أنه قيمة ثابتة لا تتغير مع الزمان، وإلا فكيف يعلّق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حبه وحب الله على شيء سوف يتغير أو ينحرف، وهذا معنى العصمة، وفرض المحبة، ودلالة وجوب الطاعة، وكذا الآية التي جاءت صريحة في أهل البيت عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام في التطهير من كل رجس، تدلّ على نفس الدلالات، وتؤكد الحقائق لكل من ألقى السمع وهو شهيد.

(8)

حب الإمام الحسين انتماء ديني

بعد معرفة مقام الإمام الحسين عليه السلام عند أهل السنّة، كشخصية مرتبطة بالدين بشكل أساس، ولا يمكن انفكاكها عن أبعاده ومقاصده، فإن الإنصاف يدعو العقل أن يستجيب إلى ذلك المقام بالحب، وذكرنا أن حبّه علامة صدق الاعتقاد بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يدعو إلى ضرورة ترجمة ذلك إلى انتماء ديني حقيقي.

إن الانتماء للإمام الحسين عليه السلام، هو انتماء مقدّس، لا ينبغي أن يشوبه التقصير لما ثبت له من مقام عظيم، ولا ينبغي أن يمسّه الغلو، لأن الغلو هو انحراف عن القداسة التي منبعها الله عزّ وجل.

بكلمة نقول إن الإمام الحسين عليه السلام كلمة الله، وقد

طهّره الله وأذهب عنه الرّجس، حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1]، فعندما انحرف إيمان أهل الكتاب في عيسى عليه السلام، بيّن لهم الله تعالى أن عيسى هو رسول الله وكلمة الله، كما في قوله عز وجل: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾[2].

فالإيمان بأن عيسى بن مريم هو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم، هو الإيمان الحقيقي الذي لا يشوبه الغلو ولا التقصير، والإمام الحسين عليه السلام هو أيضاً كلمة الله الطيبة التي ذكرها الله تعالى في قوله:

﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ**﴾[3].

---

١ - سورة الأحزاب، آية ٣٣.

٢ - سورة النساء، آية ١٧١.

٣ - سورة إبراهيم، آية ٢٤، ٢٥.

حيث روى الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين، في الجزء الثالث، بسنده عن مولى عبد الرحمن بن عوف: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في الجنة**»[1].

وفي قول الله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[2].

فقد روى الحافظ القندوري (الحنفي) في ينابيع المودة، بإسناده عن المفضّل، قال سألت جعفر الصادق (رضي الله عنه) عن قوله عز وجل: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[3]، قال: هي الكلمات التي تلقّاها آدم من ربه فتاب عليه، وهو أنه قال: (يارب أسئلك بحق محمد وعلي وفاطمة

---

١ – المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج٣، ص ١٦٠.
٢ – سورة البقر، آية ١٢٤.
٣ – سورة البقر، آية ١٢٤.

والحسن والحسين (لا تبت علي)، فتاب عليه، إنه هو التوّاب الرحيم، فقلت له: يابن رسول الله فما يعني بقوله فأتمهن؟

قال: يعني أتمهن إلى القائم المهدي، اثنى عشر إماماً تسعة من الحسين»[1].

---

١ - ينابيع المودة، الحافظ القندوري، ص ٢٥.

الفهرس

تقديم ٥

الفصل الأول:
الإمام الحسين عليه السلام في المعتقد الشيعي

(١) الإمام الحسين في بيئته النبوية ٩
(٢) الإمام الحسين في إمامته الإلهية ١٥
(٣) الإمام الحسين في حقيقته النورية ١٩
(٤) الإمام الحسين في زيارته الربانية ٣١

الفصل الثاني
الإمام الحسين في المعتقد السنّي

تمهيد ٤١
(١) الإمام الحسين في السيرة العامة ٤٣
(٢) سيد شباب أهل الجنة ٤٥
(٣) حسين مني وأنا من حسين ٥٧

(٤) أحب الله من أحب حسيناً ٦١
(٥) الحسين سبط من الأسباط ٦٩
(٦) الإمام الحسين مطهّر معصوم ٧٣
(٧) ابن الرسول الذي يباهل به ٧٧
(٨) حب الإمام الحسين انتماء ديني ٨٣